رأي القدس

تنظيم «القاعدة» يوسع دائرة هجماته

■ بعد بضعة ايام من الهجوم الذي نفذته خلية تابعة لتنظيم «القاعدة» على مجمع ابقيق لتكرير النفط شرق المملكة العربية السعودية، اعلن مسؤول أردني يوم امس عن احباط محاولة لتفجير منشأة مدنية اردنية حيوية من قبل التنظيم نفسه، وجرى اعتقال مواطن ليبي وعراقيين متورطين في هذه المحاولة.

التفاصيل ما زالت قليلة فيما يتعلق بالهجومين، والاخير على وجه الخصوص، لان الشفافية شبه معدومة عندما يرتبط الامر بهجمات تتعلق مباشرة بالامن الوطني في البلدين، ولكن ما يمكن استنتاجه ان تنظيم «القاعدة» ما زال يشكل خطرا كبيرا على استقرار المنطقة.

وربما ليس من قبيل الصدفة ان يتزامن الاعلان عن محاولة التفجير هذه في الاردن مع اندلاع اضطرابات داخل ثلاثة سجون رئيسية في البلاد، أدت الى مقتل احد النزلاء واصابة عشرة آخرين. فالذين قادوا عملية التمرد داخل سجون الجويدة والسواقة وقفقفا هم من الاسلاميين الذين احتجوا على سوء المعاملة، ومحاولة نقل بعض المتهمين في عملية اغتيال ضابط المخابرات الامريكية كولي في عمان الى خارج السجن، الامر الذي جرى تفسيره على انه ربما يكون مقدمة لتنفيذ حكم الاعدام فيهم.

الاردن مستهدف بكل تأكيد بسبب علاقاته الوثيقة مع الولايات المتحدة ودوره في تأهيل بعض قوات الامن العراقية، الامر الذي اغضب تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين الذي يتزعمه ابو مصعب الزرقاوي.

الاردن مثل معظم دول الجوار العراقي، بات يدفع ثمنا باهظا من امنه واستقراره، بسبب حال الفوضى الدموية التي تسود العراق منذ الاحتلال الامريكي. فالعراق بات نقطة جذب للجماعات الاسلامية المتطرفة من مختلف انحاء العالم الاسلامي.

العراق، وبعد ثلاث سنوات من غزوه واحتلاله، يسير من سيئ الى اسوأ، ولم يعد النموذج الذي يصدر الديمقراطية الى دول الجوار، بل العمليات الانتحارية من كافة الانواع والاشكال.

الرئيس الامريكي جورج بوش وعد مواطنيه، مثلما وعد العالم بأسره، بان العراق سيكون افضل حالا، والعالم اكثر امنا، بعد اطاحة نظامي حكم الطالبان في افغانستان، وصدام حسين في العراق، ولكن حرب الرئيس بوش على الارهاب لم تقد الا إلى زيادة فاعلية وقوة تنظيم «القاعدة»، وتهديد استقرار الدول الحليفة لواشنطن في المنطقة مثل الاردن والسعودية ومصر.

فالعراق بات نموذجا للفوضى الامنية، وبيئة ملائمة للجماعات المسلحة، لكي تقيم قواعدها على ارضه، فهناك اكثر من خمسين مليون قطعة سلاح، وخمسة ملايين طن من الذخائر، مع انعدام كامل لاي سيطرة حكومية.

وخطر هذه الجماعات المسلحة لن ينحصر في حدود العراق، وانما في امتداده لدول الجوار. فهناك اكثر من ثلاثة آلاف سعودي، وألفي اردني، ومئات الليبيين، وعشرات الآلاف من العراقيين، وهؤلاء سيعودون الى بلدانهم من اجل الانتقام من انظمة حكم يرونها فاسدة كافرة متواطئة مع الاحتلال الامريكي للعراق وافغانستان، تماما مثلما عاد المجاهدون العرب من افغانستان الى بلدانهم للانخراط في خلايا جهادية تضع استنزاف الانظمة، كمقدمة للاطاحة بها على قمة اجندة أعمالها.

اكتشاف هذه الخلايا المسلحة قبل تنفيذ عملياتها العسكرية، مثلما حدث في الاردن، او بعد اقترابها من اهدافها، مثلما حدث امام مصفاة ابقيق في المملكة العربية السعودية، امران يؤكدان وجود احتياطات امنية جيدة، ولكن الرسالة النفسية والهامة التي تقول بان تنظيم «القاعدة» ما زال موجودا وقويا وصلت بقوة، وأحدثت الاثر المطلوب، اي بث الذعر في اوساط الاجهزة الامنية والمواطنين على حد سواء، وأثبتت مجددا ان الحرب على الارهاب تنتقل من فشل الى آخر، وان حلفاء واشنطن المشاركين فيها من العرب ليسوا في مأمن من بعض نتائجها العكسية على امنهم واستقرارهم.

الحلول العسكرية لمعالجة ظاهرة الارهاب فشلت، وجاءت نتائجها في مصلحة منظماته، وحان الوقت لتجريب الحلول السياسية في الوقت نفسه.

بغداد المفخخة!

العراق: انفجار العنف الأهلي نتاج لنظام طائفي تقسيمي

د. بشير موسى نافع *

■ مدافعون خجلون عن السياسة الأمريكية وجدوا في العنف الذي شهده العراق بعد تفجير مقامي الإمامين العسكريين في سامراء فرصة سانحة للمقارنة بين النوايا الحسنة لإدارة الاحتلال والوحشية المتأصلة في المجتمع العراقي. بعد كل هذا العنف الديني، عنف المقامات والمساجد والأئمة ـ قال هؤلاء ـ هل يصح ان نستمر في القذف بكل عقدنا وأمراضنا إلى العتبة الأمريكية. هناك بالفعل محتلون، ولكن هل كان الاحتلال هو الذي وجهنا لهذا الافتراس الأهلي الدموي لبعضنا البعض. ثمة قدر كبير من السذاجة أو السطحية أو سوء النية، يجتمع أو يتوزع على هذه الأسئلة، لأن الإجابة الوحيدة الممكنة لها هي نعم، الاحتلال والنظام البشع، المشوه، المعادي لتاريخ العراق وشعبه، الذي أقامه المحتلون، هو المسؤول المباشر عن هذا العنف.

ربما كان العراق يسير بالفعل نحو حرب أهلية، وربما استطاعت حكمة بعض من قادته وعلمائه وأعيان مجتمعه انقاذ العراقيين من جحيم هذه الحرب. ولكن أحداً لا يجب ان يخطئ حجم الدمار السياسي والاجتماعي الذي أوقعه الاحتلال وحلفاؤه بالعراق. العراق ليس الوطن الوحيد في العالم الذي يضم شعباً متنوعاً من الإثنيات والطوائف، بل ان الدول المتجانسة إثنياً وطائفياً هي من القلة في العالم بحيث يصعب حتى الجزم بوجودها. وما ينطبق على الشرق العربي والإسلامي، حيث الدولة القومية الحديثة لم تتعمق جذورها بعد، ينطبق أيضاً على الدول الأوروبية الغربية، حيث ولدت الدولة الحديثة واكتسبت ملامحها السياسية والقانونية. لا بريطانيا، ولا بلجيكا، ولا أسبانيا، ولا فرنسا، بنيت على تجانس عرقي ودیني. وحتى ألمانيا، حيث العرق الجرماني هو السائد، تكونت الدولة (في أي حدود اعتبرت لها) من كاثوليك وبروتستانت ويهود، وخالط بنيتها القومية روس وبولونيون، بينما انتشرت المجموعات الإثنية الجرمانية في بلاد أوروبية أخرى عديدة. في أي من هذه البلدان المعروفة اليوم باستقرارها (بعد حروب أهلية طويلة ودموية)، يمكن ان ينفجر السلم الأهلي في لحظات، إن وضعت في سياق شبيه بالسياق الذي دفع إليه العراق خلال السنوات الثلاث الماضية.

كان مدهشاً بالطبع، في الأيام القليلة السابقة لتفجير مقام الإمامين العسكريين أن نسمع السفير الأمريكي في بغداد يشن هجوماً صريحاً على التوجه الطائفي لوزارة الداخلية ومؤسسات الحكم العراقي الجديد. ولكن السؤال الذي كان يجب على السفير (أفغاني الأصل، المتحدث بالعربية) أن يسأله هو من المسؤول، من الذي وضع الأسس التي بني عليها هذا الحكم البشع، الغريب عن العراق وتاريخه. حتى قبل انطلاق مشروع الغزو كانت أوساط أمريكية وبريطانية تروج لعراق منقسم على ذاته، عراق صور كأنه صنيعة بريطانية من التحام ولايات عثمانية مختلفة. وما أن أسس المحتلون أنفسهم في المنطقة الخضراء، حتى أطلق مشروع سياسي ودستوري واضح المعالم لدفع العراق إلى طريق الانقسام على الذات. قيل للعراقيين انهم باتوا منذ اليوم أكثريات وأقليات، وان دولتهم الجديدة ستقوم على نظام فيدرالي إثني وطائفي معاً، وهو واحد من أغرب الفيدراليات التي عرفها العالم. وما ان بدأت الدولة الجديدة في التشكل، بتأسيس مجلس الحكم سيئ الذكر، حتى قسم العراقيون إلى سنة وشيعة، وإلى أكراد وعرب، وإلى مسلمين ومسيحيين. وما انطبق على مجلس الحكم، انطبق على الحكومات الانتقالية. ثم جاء مشروع الدستور الجديد ليعيد التوكيد على تقسيم العراق وشقه على ذاته، إدارة وحكماً وتمثيلاً برلمانياً ووطناً.

يتفق أغلب العراقيين على معارضة الغزو والاحتلال، ويتفقون على ان هناك ظلماً شاملاً أصابهم جميعاً في ظل النظام السابق، وإن بدرجات مختلفة. ولكن أحداً لم ير العراقيين يخرجون في حركة شعبية عارمة تطالب بتقسيم البلاد عرقياً وطائفياً، بمعنى ان النظام الذي أقامه الاحتلال لم يأت للاستجابة لمطالب شعبية وطنية عراقية، بل جاء نتيجة لتواطؤ ضمني بين مديري الاحتلال وحفنة من السياسيين العراقيين الذين وضعوا أنفسهم في صف الغزو والاحتلال. وهنا أخذ مشروع التقسيم في محاولة تأسيس مواقع شعبية له. حفنة من السياسيين الطائفيين، من اللصوص والطامعين في ثروة البلاد وقوت شعبها، من المنظمات السياسية المحترفة، فشلت في تقديم نفسها إلى العراقيين بصفتها قوى وطنية فلجأت إلى كهف الخطاب الطائفي التقسيمي المظلم لتسويغ الامتيازات ومواقع السلطة والحكم التي منحت لها من إدارة الاحتلال. صاغت هذه القوى، التي يتصف أغلبها بجهل العراق وشعبه، تاريخاً جديداً للعراق وطوائفه وأعراقه، وتاريخاً جديداً للدولة العراقية وسياساتها، وتاريخاً آخر للوطن العراقي. أصبحت أساطير الاضطهاد الطائفي صناعة، احترفها رجال دين وسياسيون ركيكون، ومراكز إعلامية رخيصة الخطاب والحرفة.

ولم يكن مستغرباً بالتالي أن يبدأ العراقيون في اكتشاف هويات لم يعرفها تاريخهم السياسي من قبل، وأن تبدأ جدران الخوف الطائفي في الفصل بين شمالهم ووسطهم وجنوبهم، بين الجار وجاره، الطالب وزميله، بل والرجل وزوجته. فجأة، اكتشف أبناء تميم وشمر والدليم أنهم شيعة وسنة، واكتشفت أبناء أسر بأكملها أن عليهم مخاصمة أخوالهم وأجدادهم من الطائفة الأخرى. ولم يعرف تاريخ الأمم والشعوب ما عرفه العراق خلال العامين أو الثلاثة الماضية، عندما أخذ من يدعون أنهم أكثرية سكان العراق في الدعوة إلى تقسيم الوطن إلى كانتونات طائفية متصارعة، لا يعرف أحد أين يبدأ حدود الشيعة فيها وأين تنتهي حدود السنة. وفي حين يعرف أكثر العراقيين لغة التطرف واستباحة الدماء التي تحاول التغطي بغطاء المقاومة، وينكرونها، فإن تكفيريين قتلة يقفون على رأس قوى سياسية ويحتلون مقاعد وزارات جعلوا منها مراكز لعصابات الاغتيال الطائفي والتعذيب والاختطاف على الهوية.

ما شهده العراق في الأسبوع الثالث من هذا الشهر لم يكن انفجاراً طارئاً، كما يقول الاعتذاريون بحسن نية، ولا هو سمة متأصلة في الشخصية العراقية، كما يحاول الجهلة والسفهاء التأكيد. هذا نتاج طبيعي ومتوقع لنظام سياسي أريد له، بوعي أو بدون وعي، ان يوصل العراق إلى ما وصل إليه، ولمنطق سياسي أريد له ان يزرع الخوف بين الطوائف، ولنمط حكم أريد له تشظية الشعب وإقامة هوة من الدم بين جماعاته وقواه. ومن العبث التعامل مع هذا الانفجار باعتباره حدثاً عابراً يمكن حصاره بعدد من اللقاءات بين بعض المسؤولين وقادة الأحزاب والعلماء. مثل هذا الجهد وهذه اللقاءات ضروري لوضع حد لسفك الدماء ومنع الأوضاع من التفاقم والتصعيد، ولكن العلاج الحقيقي يتطلب جهداً أكبر وأوسع وأكثر عمقاً.

على القوى الإسلامية الشيعية، محل ثقة الأمة، داخل المنطقة العربية وخارجها، ان ترفع الغطاء عن الجماعات الطائفية الانفصالية التي تحاول إغراق العراق في الدم خدمة لمصالح سياسية صغيرة. لم يعد من الممكن ان تقوم هيئة علماء المسلمين في العراق واتحاد العلماء المسلمين (الذي يقوده الشيخ القرضاوي) بالتبرؤ من الزرقاوي وأمثاله، بينما تقوم القوى والشخصيات الشيعية العربية بتوفير الغطاء والاعتذار للطائفيين القتلة في العراق. التنظيمات التي تقودها عمائم هي أكثر خطراً من تلك التي يقودها نكرات، وإن كان للمسلمين أن يحافظوا على وحدتهم داخل العراق وخارجه، فلا بد من عزل جميع القتلة، التكفيريين والطائفيين، سنة وشيعة. على الإسلاميين العرب جميعاً، سنة وشيعة، ان يعلنوا موقفاً واضحاً وصلباً ضد مشاريع تقسيم العراق، باسم الفيدرالية أو بأي اسم آخر، وأن يطالبوا بإلغاء الدستور المسخ الذي وضع تحت ظل ظروف شاذة من الاحتلال وسيطرة عناصر لم تكن وليس من المتوقع ان تصبح محل إجماع من العراقيين، دستور تم تمريره في أجواء من الخوف الأهلي والاستقطاب الطائفي، وبوسائل التزييف والعبث بأصوات العراقيين.

وعلى القوى العراقية الوطنية، إسلامية كانت أو غير إسلامية، مقاومة كانت أو غير مقاومة، ان تستمر في رفضها للوضع الراهن ولكل ما ولد من رحم نظام الاحتلال، حكومة ودستوراً ونظاماً انتخابياً وجيشاً وقوى أمنية. هذا العراق غير قابل للحياة، لا بمقاييس تاريخ العراق ذاته، لا بالمقاييس العربية والإسلامية، ولا حتى بمقاييس أهل الرأي داخل الولايات المتحدة وأوروبا. وعبثاً يحاول البعض ترقيع هذا المولود المشوه بتعديل دستوري هنا واتفاق حزبي هناك. الخطأ هو في جوهر وأساس هذا العراق، وهو ما يستدعي إعادة بنائه في ظل ظروف مختلفة تماماً عن الظروف التي سادت منذ الاحتلال. بدون ذلك، فسيظل العراق عرضة للانفجارات المتكررة، مرة بين السنة والشيعة، ومرة بين العرب والأكراد، مرة بين القوى الشيعية أو الكردية، وأخرى بين القوى السنية، حتى يأتي يوم يقع فيه الانفجار الكبير حيث سيلغ الجميع في دم الجميع. وعندها لن يغرق العراق وحده، فكل الاجتماع المشرقي العربي ـ الإسلامي تعددي ومتنوع، إثنياً ووطائفياً.

أليست مجتمعات إيران وتركيا وسورية ولبنان والسعودية ودول الخليج هي مجتمعات تعددية؟ هل يمكن صناعة تفجير سني ـ شيعي في العراق، ومنع عواقبه من الامتداد إلى إيران والسعودية ولبنان، أم هل يمكن صناعة كيان كردي في شمال العراق، يهيمن بقوة السلاح على جواره العربي، بدون أن تمتد عواقبه إلى سورية وتركيا وإيران؟ العراق هو صورة مصغرة للشرق كله، وسواء أراد العرب والمسلمون أم لم يريدوا، فقد بات مفتاح الاستقرار لكل الشرق، عربه وفرسه وأتراكه وكرده. وهذا الاستقرار لن يستعاد من جديد بدون التخلص من الاحتلال ونظامه. الاحتلال هو المسؤول الأول عن تشظي الاجتماع العراقي، وهو المسؤول عن إقامة هذا النظام المشوه، وهو الذي زرع في رحم الدولة العراقية الجديدة عوامل الانفجار والانقسام والصراع الدائم. بدون نهاية الاحتلال لن يتحرر العراق من كوابيسه، ومن العبث تسويغ المطالبة باستمرار الاحتلال الأجنبي خوفاً من تداعي النظام وانفجار العنف الداخلي. فالنظام متداع على أية حال، والعنف الداخلي يكاد الانحدار إلى حرب أهلية لا تبقي ولا تذر. ثم، أليست القوى المطالبة باستمرار الاحتلال هي ذاتها القوى الساعية إلى تقسيم البلاد، والتي تلعب الدور الرئيسي في تأجيج مناخ العزلة والخوف والثأر الطائفي؟

وبعد، فخلف ما يشهده العراق درس لا يجب لكل صاحب نظر ان يغفله. إن ميزان قوى يقوم على تدخل الأجنبي ووجوده سرعان ما سينهار، إما بخروج الأجنبي أو بقيامه بتغيير تحالفاته. ولشعوب هذه المنطقة ذاكرة طويلة وعميقة لن تنسى لأحد مواقفه وأفعاله.

* كاتب وباحث عربي في التاريخ الحديث

حوار الحضارات وثقافة الاستسلام

د. يوسف نور عوض *

■ عندما نشر المفكر الفرنسي «روجيه غارودي» كتابه من أجل حوار للحضارات في القرن الماضي أثار الكتاب اهتماما كبيرا في العالم العربي لأن «غارودي» كان من مفكري الحزب الشيوعي الفرنسي وزعمائه وكان تحوله للإسلام مثار اهتمام في جميع أنحاء العالم الإسلامي، واذكر أن جامعة الملك عبد العزيز في المملكة العربية السعودية دعت المفكر الفرنسي للتحدث عن فكرته وكنت أحد الذين شاركوا في الحوار في تلك المناسبة وتطرقت إلى موضوعين يتعلقان بما أثاره روجيه غارودي.

قلت له أولا إن أول جملة في كتابه هي أن الغرب عرض زائل فكيف يريد للحضارات الأخرى أن تتحاور مع ما يعتقد أنه زائل، ولم أركز على هذا الأمر كثيرا لأنني كنت أعرف أنني أستند إلى مدلولات لغوية وليس فكرية، ولكني قصدت جانبا اخر من حديثي عندما قلت له إن الحضارات الإنسانية لا تتحاور، بسبب عدم وجود حضارات إنسانية مختلفة إذ هي في الحقيقة حضارة واحدة، وعرفت الحضارة بأنها المكتشفات الإنسانية التي تخرج عن حدود الزمان والمكان، وضربت لذلك مثلا العجلة التي هي اكتشاف حضاري وليس مهما أن تستخدم في المحراث البدائي في الصين أو في الطائرة النفاثة في الولايات المتحدة، وينطبق ذلك على كل الإنجازات الحضارية مثل الملابس والحكومات وغيرها، ولكن هذه المكتشفات الحضارية تتحول إلى قيم مدنية عندما نضعها موضع التطبيق، فتكون مدنيات مصرية أو يونانية أو أمريكية ونحو ذلك، وكل هذه المدنيات تتأثر إلى حد كبير بالقيم الثقافية التي ينتجها المجتمع، وبالتالي فإن التحاور لا يكون في مستوى الحضارات بل في مستوى المدنيات والثقافات التي هي متباينة بالضرورة بسبب اختلاف البيئات الإنسانية. وما نشهده الآن من صراع هو في الحقيقة بسبب اختلاف في أساليب المدنيات وكيفية تعاملها مع الآخر.

ونلحظ بصفة عامة أن الحديث عن صراع الحضارات ومحاولة إيجاد لغة مشتركة للتعاون سببه اختلافات سياسية ومواقف فرضتها بعض الدول، وهي بالتالي لا تنطلق من رؤية شمولية في التعاون مع الآخر بل تنطلق من براغماتية سياسية تحاول أن تتجاوز أوضاعا أصبحت على درجة عالية من التعقيد.

ويمكننا أن نرجع الوضع الراهن إلى اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر، ذلك أن المأساة التي خلفها ذلك الوضع في الولايات المتحدة فتح الأعين على كثير من جوانب الضعف في المجتمع الإنساني ويشمل ذلك المجتمعات التي هي على درجة عالية من التقدم مثل الولايات المتحدة بكون الاعتداء على الولايات المتحدة كان يمكن أن يتم بأسلحة أكثر دمارا وبالتالي فإن الولايات المتحدة عندما أعلنت استراتيجيتها في محاربة الإرهاب كانت تدرك تماما أنها تريد أن توجه رسالة مباشرة إلى شعبها وهي رسالة لم تكن على درجة كبيرة من القوة خاصة أن الولايات المتحدة ركزت على محاربة ما سمته الإرهاب الأفغاني في وقت لم تكن فيه أفغانستان على تلك الدرجة من القوة التي تسمح للولايات المتحدة أن تزعم أنها قدمت إنجازا كبيرا، وبالتالي بدأت تتجه واشنطن نحو هدف آخر هو العراق الذي أثار اختياره كجبهة جديدة من جبهات الحرب استغراب الكثيرين في العالم، أولا لأن العراق لم يكن في حالة عداء مع الولايات المتحدة وكانت كل الدلائل تشير إلى أنه كان من الدول المتعاونة مع الولايات المتحدة وثانيا لم يقم العراق بأعمال تهدد المصالح الأمريكية غير أنه كان في نظر إسرائيل واليمين المتطرف في الولايات المتحدة هدفا يمكن أن يقلل من التهديدات التي تواجهها الدولة العبرية كما أن الاستيلاء على ثرواته النفطية ولو إلى فترة محدودة من الزمن يمكن أن يوفر امكانات هائلة للنخب المتحكمة في سياسة الولايات المتحدة ويمكنها من الاستمرار في السيطرة على مدى عقود طويلة وبالتالي اخترعت الولايات المتحدة تهمة البرنامج السري العراقي لإنتاج سلاح نووي وأسلحة دمار شامل وهي تهم أثبت الواقع أنها باطلة وحاولت الولايات المتحدة التي خرجت على الإجماع الدولي أن تقول بعد أن اتضحت حقيقة الحرب في العراق إنها تهدف إلى إقامة نظام ديمقراطي في ذلك البلد يصلح نموذجا لمشروع الشرق الأوسط الكبير، ولا شك أن فكرة الشرق الأوسط الكبير أثارت الرعب في كثير من الأنظمة العربية وفي مقدمها النظام الليبي الذي سارع بحل مشكلة لوكربي ودفع مليارات الدولارات من أجل الخروج من المأزق كما اعترف النظام بأنه كان يعمل في برنامج نووي سري قام بتفكيكه ولكن فكرة الشرق الأوسط الكبير لم تلق ارتياحا في دول مثل مصر والمملكة العربية السعودية اللتين كانتا تحتفظان في الأساس بعلاقات حسنة مع الولايات المتحدة، ولا شك أن تطورات الموقف في العراق وتحول هذا البلد من مشروع لليديمقراطية في قلب الشرق الأوسط إلى مشروع للصراعات الطائفية أقنع الولايات المتحدة بأنه لا داعي للتسرع بهز أنظمة في الشرق الأوسط لا تمارس الديمقراطية وحكوماتها على استعداد لأن تحتفظ بصداقة معها وتلبي كل مطالبها السياسية والاقتصادية، ولكن اقتناع الولايات المتحدة لم يوقف تحرك بعض الدول في اتجاه الحماية الذاتية وأهم هذه الدول إيران التي تسعى لامتلاك سلاح نووي، وعلى الرغم من أن الوكالة الدولية للطاقة الذرية أعربت عن عدم امتلاكها لأي دليل بأن إيران تطور برنامجا نوويا عسكريا فإن ذلك لم يكن كافيا بالنسبة للولايات المتحدة التي تعمل في اتساق مع إسرائيل وترى أنها يمكن أن تخضع إيران لنفس الظروف التي خضع لها العراق، على الرغم من اختلاف الوضع ذلك أن إيران تمتلك من قدرات المقاومة والدفاع عن نفسها ما لم يكن يمتلكه العراق كما أن الولايات المتحدة ربما لا تكون قادرة على الدخول في مغامرة جديدة بعد مأزقها في العراق خاصة وهي قد فتحت جبهة جديدة مع سورية قد تكون مصدر تهديد لوجودها في العراق إذا ما قررت أن تتحرك في اتجاهها واتجاه إيران.

ولا شك أن الولايات المتحدة لا تعجز عن قراءة الخريطة الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط وهي لذلك تحاول أن تتبع أساليب جديدة يكون فيها أكبر قدر من الفائدة لدولة إسرائيل وتمكنها من الخروج من المأزق، ويبدو ذلك واضحا من خلال تحركها بالضغط على سورية من أجل تحقيق مكاسب لإسرائيل في لبنان وفي المنطقة بأسرها ومن خلال الضغط على السودان من خلال قضية دار فور الموجهة أصلا إلى إضعاف مصر مستقبلا ذلك أن السودان المقسم والمفكك سيكون مصدر ضعف لمصر وهذه حقيقة لم تلتفت إليها الحكومة المصرية بجدية حتى هذه اللحظة وهي تتعامل مع الصراع في دار فور وفي جنوب السودان وكأنه أمر لا يهمها مع أنه صراع يمس مصالحها الحيوية بشكل كبير وهي تستطيع أن تلعب دورا فاعلا من أجل المحافظة على وحدة السودان لأن المستفيد الوحيد من تفكيك السودان هو إسرائيل.

ونستطيع أن نقول إن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تكسب معركتها في الأرض العربية على النحو الذي تريده بسبب التباين في الثقافات كما أن الدول العربية التي تلبي مصالح الولايات المتحدة ترتكب خطأ لا تعرف أبعاده الحقيقية بسبب عدم معرفتها بطبيعة العقل الغربي وأبعاده الثقافية، ذلك أن القوى الغربية بطبيعتها لا تعتبر التنازل في مرحلة من المراحل هو عربون صداقة بل هي تفسره على أنه تعبير عن حالة ضعف مستمرة يمكن أن تتحقق من خلالها كثير من المصالح في العالم العربي، وهذه حقيقة أدركتها إيران وأدركها جمال عبد الناصر من قبل ذلك أن العالم الغربي يكون أكثر احتراما للدول التي تقف من أجل الدفاع عن مصالحها ولكنها لا تحترم الدول التي تتنازل عن حقوقها الأساسية حتى لو كانت تمتلك بعض مصادر القوة ونستطيع أن نتبين هذا الموقف بوضوح في علاقة الولايات المتحدة مع روسيا، ذلك أن روسيا تمتلك من القوة ما تستطيع أن توقف بها الولايات المتحدة إذا أرادت ولكن روسيا تنازلت عن حقها ولم تعد تلوح بهذه القوة وأدركت الولايات المتحدة ذلك وأصبحت تتعامل مع روسيا وكأنها دولة من دول العالم المتخلف، وعلى الرغم من معارضتها لبعض سياسات الولايات المتحدة فهي في آخر الأمر سترضخ وسنرى قريبا كيف ستضحي روسيا بصداقتها ومصالحها مع إيران من أجل تمرير قرار بتوقيع عقوبات عليها. وربما كان الوضع في العالم العربي يختلف بعض الشيء لأنه على الرغم من استسلام معظم الحكومات العربية لإرادة الولايات المتحدة، فمازال الشارع العربي الذي يخضع لمنظومة ثقافية مغايرة هو الذي يقف سدا ضد المطامع الأمريكية وذلك ما يجعل الولايات المتحدة تسعى من أجل أن تتحاور مع الثقافات تحت مفهوم الحضارات على الرغم من عدم وجود أرضية مشتركة. ولا شك أن الولايات المتحدة لها تجربة سابقة مع ألمانيا النازية التي انطلقت من فكرة ثقافية عنصرية وحركت بها حربا عالمية ولكن ألمانيا في نهاية الأمر تحاورت مع العالم الغربي لأن الفكرة النازية كانت فكرة عارضة وهي تنتمي إلى الثقافة الغربية بصفة عامة ولكن العالم العربي ينتمي إلى ثقافة مغايرة وتاريخه مع العالم الغربي هو تاريخ الاستعمار والسيطرة، وبالتالي فإن العلاقات الثقافية مع العالم الغربي لا تقف عند حدود العلاقات الدينية، كما أن اختلاف العالم العربي مع العالم الغربي ليس بسبب الدين بكون المسلمين لا يعادون المسيحية وإنما هو اختلاف بسبب ثقافة الهيمنة والسيطرة والجشع الذي سببه الخضوع المستمر لمطالب الغرب وهو خضوع تمارسه الحكومات، ولكنه بكل تأكيد لن يستمر طويلا بعد أن شهدنا يقظة في بعض البلاد العربية مثل مصر وفلسطين التي فازت فيها حماس أخيرا وفاجأت بذلك العالم الغربي الذي لم يكن يتوقع مثل هذا الفوز، وما نخلص إليه هو أن الذين يسعون إلى ما يسمونه حوار الحضارات يجب أن يدركوا أن الحوار لا يكون بين قوي وضعيف ومحترم ومحتقر بل يكون بين ثقافات متباينة تنتمي إلى حضارة واحدة أساسها الاحترام وتبادل المنافع والمصالح.

* كاتب من السودان

في مواجهة الظاهرة الامريكية

د. علي محمد فخرو

■ أصبحت مواجهة الظاهرة الامريكية أمراً حيوياً لأنها جزء من التحالف الأنكلو ـ امريكي ـ الصهيوني البالغ الخطورة والعدوانية. فإذا كان فكر ذلك التحالف يمكن أن يُقرأ في أقوال غلاة التطرف اليهودي من أمثال القس رابينوفش الذين ينادون بإشعال الحروب والاضطرابات في العالم من أجل البدء بفترة العشرة آلاف سنة التي سينعم اليهود أثناءها بالسلام وبالوفرة وبالسيطرة على أعدائهم غير اليهود فان أداة ذلك التحالف هي القوة العسكرية ـ الصناعية ـ المالية الامريكية الهائلة. إن إستراتيجية الحرب الامريكية الجديدة هي بناء نظام مالي واقتصادي حربي. ولذلك فمقارعة امريكا في المجال العسكري مستحيلة. لكن كسر السلسلة الثلاثية في أحد مكوناتها الأخرى (المالي أو الصناعي (ممكن ومطلوب).

إن العرب، وهم يواجهون دولة كبرى تريد فرض المشروع الصهيوني برمته وتريد تدمير مشروعهم النهضوي في كل مكوناته وتريد أن تحرمهم من القدرة على الاستفادة من الفرصة التاريخية الحالية لاستعمال فائض الثروة البترولية لبناء نهضة كبرى، مطالبون أن يساهموا في كسر تلك السلسلة الثلاثية الجهنمية بكل الوسائل التي يستطيعون.

فأولاً، هناك جبل الدين القومي الامريكي الذي يقترب من الثمان تريليون من الدولارات. وهو دين يزداد باستمرار عند دولة تحافظ على رفاهية مجتمعها على حساب كل مجتمعات العالم. إن الدائنين الأجانب يوفرون تسعين في المائة من مبلغ ملياري دولار تحتاج أمريكا أن تحصل عليه يومياً حتى تسدد أقساط ديونها للبنوك. ومن بين الدائنين، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، أصحاب الثروة البترولية العرب. إن ذلك الوضع الشاذ ممكن لأن العالم لايزال يقبل بأن يكون الدولار هو عملة الاحتياط للتعاملات الدولية. لكن هناك دلائل على أن دولاً مثل روسيا والصين والهند يتجهون إلى استبدال الدولار الامريكي باليورو الأوروبي ولو جزئياً وذلك تحسباً من يوم سيأتي عندما يهبط سعر الدولار بنسب كبيرة من جراء نقاط ضعف كثيرة في الاقتصاد الامريكي ومن جراء المغامرات المجنونة لقيادته السياسية. فلماذا لا تنحو دول البترول العربية المنحى نفسه كمواجهة جزئية لدولة امبريالية في كل تعاملاتها معنا ؟ وهل حقاً أننا لانستطيع ممارسة أي ضغط على دولة تخنقنا بضغوطاتها؟ خصوصاً عندما نقرأ أقوالاً من مثل وصف كروجمان أستاذ الاقتصاد في جامعة برنستون بلاده بأنها في طريقها لتكون واحدة من جمهوريات الموز بسبب سوء تصرفاتها المالية والاجتماعية وديونها الهائلة.

إن فصل السياسة عن الإقتصاد والمال عند التعامل مع من يعاديك أمر لايقبله المنطق ولا الواقعية.

وثانيا ، هناك حلقة الصناعة في السلسلة الثلاثية. وبالطبع فان الصناعة العسكرية الامريكية في قلب الموضوع. إن توازن الصادرات مع الواردات قد أصبح موضوعاً مقلقاً لامريكا. فأمريكا التي كانت أكبر مصدِّر للمواد الغذائية بدأت منذ العام الماضي باستيراد كميات كبيرة من الأغذية. إن ذلك يعني أن هذه الدولة تحتاج إلى أن تزيد في صادراتها في الحقول التي تتفوق فيها ومن أهمها حقل الصناعة العسكرية. والسؤال يطرح نفسه: ألا تستطيع دول الأمة العربية، وهي من أكبر مستوردي السلاح الامريكي، أن تستعمل هذا الوضع الامريكي الصعب لتساوم وتناور بالنسبة لشراء المنتجات الامريكية العسكرية وغيرها؟ والأمر نفسه ينطبق بالطبع على كل أنواع الصناعات والخدمات الامريكية.

هذان مثلان لأشكال من الحقول التي يمكن التحرك في أرجائها. لكن المشكلة الكبرى أن الحركة المطلوبة تحتاج إلى مبادرات حكومية لا تود الأنظمة العربية أن تقوم بها طالما أن القسم الأعظم من هذه الأنظمة مرتهن في اليد الامريكية. من هنا الأهمية البالغة للدور الذي يمكن أن يلعبه المجتمع المدني للضغط على حكوماته وهو موضوع سبق وأن طرح ألف مرة. وعليه فان لب المواجهة العربية للظاهرة الامريكية لن ينضج إلاّ بنضوج قوى المجتمع العربي الفاعلة. نضوج هذه القوى أصبح يمثل حالة طوارئ لايمكن تجاهلها وإلاّ فالطوفان قادم.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 Fax: 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN